

التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن
دراسة أصولية تطبيقية
م . د حاتم كريم مطر

التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن
دراسة أصولية تطبيقية

The jurisprudential adaptation of Ibn al-Faris al-Maliki (d. ٥٩٧ AH)
through his book Ahkam al-Qur'an

An applied fundamentalist study

م . د حاتم كريم مطر*

Hattem Kareem Mutar

معرف أوركيڊ (٠٠٠٩-٠٠٠٧-٣٧٤٢-٦٧٨٤)

hattem.alesawee@tu.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج الإمام ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) في التكييف الفقهي من خلال كتابه أحكام القرآن، بوصفه من أبرز التفاسير الفقهية التي تجمع بين التحليل الأصولي والاستنباط الفقهي . وقد سعى الباحث إلى إبراز الدور الذي أدّاه ابن الفرس في تطوير منهج التكييف الفقهي داخل المدرسة المالكية، من خلال ربط النصوص القرآنية بالقواعد الكلية والعلل الشرعية والمقاصد العامة للشريعة.

اعتمدت الدراسة على منهج تحليلي وصفي مقارن؛ وصفي في عرض المادة العلمية من المصادر الأصلية، وتحليلي في استنباط القواعد والأصول التي اعتمدها ابن الفرس، ومقارن في الموازنة بينه وبين غيره من أعلام المالكية كالقاضي عبدالوهاب وابن العربي والقرطبي.

وقد بينت الدراسة أن ابن الفرس كان ذا نزعة قرآنية واضحة، جعلت النص محوراً للتكييف، وأنه استثمر أدوات أصولية دقيقة كالعلة، والمناط، والقياس، والمصلحة، والمقاصد الشرعية في معالجة

* جامعة تكريت/كلية العلوم الإسلامية.

النوازل. كما أظهرت الدراسة تميّزه في التوازن بين الأصول والفروع، وجمعه بين النظر المقاصدي والتحليل الفقهي الدقيق.

وتوصّلت الدراسة إلى أن منهجه في التكيف الفقهي يُعدّ خطوة متقدّمة في مسار تطوّر الفكر المالكي، لما امتاز به من عمق في فهم النص، وانفتاح على مقاصد الشريعة، وقدرة على استيعاب المسائل الجديدة ضمن أصول المذهب.

الكلمات المفتاحية: التكيف الفقهي، ابن الفرس، أحكام القرآن، المذهب المالكي، أصول الفقه، المقاصد الشرعية.

Abstract

This research aims to study the approach of Imam Ibn al-Faris al-Maliki (d. ٥٩٧ AH) in jurisprudential adaptation through his book Ahkam al-Qur'an, as one of the most prominent jurisprudential interpretations that combines fundamental analysis and jurisprudential deduction. The researcher sought to highlight the role played by Ibn al-Faris in developing the methodology of fiqh adaptation within the Maliki school by linking Qur'anic texts to general rules, legal reasons, and the general objectives of Sharia.

The study relied on a comparative descriptive and analytical approach; descriptive in presenting the scientific material from authentic sources, analytical in deducing the rules and principles adopted by Ibn al-Faris, and comparative in balancing him with other Maliki scholars such as Qadi Abdul Wahab, Ibn al-Arabi, and al-Qurtubi.

The study showed that Ibn al-Faris had a clear Qur'anic tendency, which made the text the focus of adaptation, and that he used precise fundamental tools such as cause, connection, analogy, interest, and legal objectives in dealing with contemporary issues. The study also showed his excellence in balancing the fundamentals and branches, and his combination of purposive reasoning and precise jurisprudential analysis.

The study concluded that his approach to jurisprudential adaptation is a step forward in the development of Maliki thought, due to his depth of

understanding of the text, his openness to the objectives of Sharia, and his ability to assimilate new issues within the principles of the school of thought.

Keywords: Jurisprudential adaptation, Ibn al-Faris, Quranic rulings, Maliki school of thought, principles of jurisprudence, legal objectives.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنَّ الفقه الإسلامي يتميز بقدرته على مواكبة مستجدات الحياة، واستيعاب النوازل والأحداث المتجددة، من خلال آليات منهجية دقيقة، من أبرزها ما يعرف بـ **التكييف الفقهي**، الذي يُعدّ أداة رئيسة لردّ الجزئيات إلى كلياتها، والفروع إلى أصولها. والتكييف بهذا المعنى يمثل جسراً رابطاً بين **النصوص الشرعية** من جهة، و**الوقائع التطبيقية** من جهة أخرى، وهو ما يجعل الفقه الإسلامي صالحاً لكل زمان ومكان .

وقد كان لعلماء المالكية دور رائد في إبراز أهمية التكييف الفقهي؛ إذ تميز مذهبهم بمرونة الاجتهاد، والقدرة على استثمار الأصول الكلية في ضبط الفروع الجزئية. ومن بين هؤلاء الأعلام يبرز اسم الإمام **ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ)** الذي يُعدّ من الفقهاء المفسرين، حيث جمع بين علوم التفسير والفقه والأصول، وخلف أثراً علمياً بارزاً تمثل في كتابه أحكام القرآن .

يُعدّ كتاب أحكام القرآن لابن الفرس إنموذجاً تطبيقياً بارزاً لمنهجه في التكييف الفقهي؛ إذ لم يقتصر فيه على بيان الأحكام المستنبطة من النص القرآني، بل سعى إلى إدراج النوازل والمسائل الفقهية تحت القواعد العامة والعلل الشرعية، وهو ما يكشف عن عمق نظره الأصولي، وثناء اجتهاده المقاصدي، وقد أبان من خلاله عن نزعة قرآنية قوية، مقرونة باستحضار علل الأحكام، والموازنة بين المذاهب، مع عناية خاصة بمذهب مالك وأصحابه .

إن دراسة التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي تكتسب أهميتها من عدة وجوه:

- إبراز جانب مهم من جوانب **المنهج المالكي** في ربط النصوص بالوقائع.

- الكشف عن الطابع الأصولي والمقاصدي لمنهج ابن الفرس المالكي .
- بيان أثر التكييف الفقهي في تجديد الفقه الإسلامي، وإبراز صلاحيته لمواجهة المستجدات.
- وعليه، فإن هذا البحث الموسوم بـ «التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي من خلال كتابه أحكام القرآن - دراسة أصولية تطبيقية» يهدف إلى:
- ١. بيان مفهوم التكييف الفقهي وأصوله النظرية.
- ٢. تحليل منهج ابن الفرس المالكي في التكييف من خلال كتابه.
- ٣. دراسة تطبيقات عملية في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والحدود.
- ٤. استنباط السمات العامة لهذا المنهج وأثره في تطوير الفقه المالكي.

الدراسات السابقة

بالرغم من وجود دراسات تناولت التكييف الفقهي تأصيلاً وضبطاً، وأخرى طبّقت على النوازل المعاصرة، إلا أن الدراسات التي تناولت التكييف الفقهي عند علماء التفسير الفقهي، ولا سيما الإمام ابن الفرس المالكي من خلال كتابه أحكام القرآن، تكاد تكون معدومة .

- ١- التكييف الفقهي وأثره في الحكم على النوازل: لعبد الله بن محمد بن عبد العزيز الطريقي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (٢٠٠٤م) .
 - ٢- التكييف الفقهي: حقيقته، أنواعه، ضوابطه: لعبد الكريم بن علي النملة، بحث منشور ضمن بحوث مجمع الفقه الإسلامي، جدة.
 - ٣- التكييف الفقهي للنوازل المعاصرة: لمحمد بن عبد الله السويلم، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام، عدد خاص بالنوازل.
- وسيعتمد في هذا البحث على منهج وصفي تحليلي مقارنة؛ وصفي في عرض المادة من مصادرها الأصلية، وتحليلي في بيان مناهج التكييف وأدلتها، ومقارن من خلال الموازنة بين ما قرره ابن الفرس وما قرره غيره من علماء المذاهب.

وتأتي خطة البحث على النحو الآتي:

- التمهيد: التعريف بالإمام ابن الفرس المالكي وحياته وأثاره.
- المبحث الأول: الإطار النظري للتكييف الفقهي.
- المبحث الثاني: منهج ابن الفرس المالكي في التكييف.

التكليف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن
دراسة أصولية تطبيقية
م . د حاتم كريم مطر

- المبحث الثالث: التطبيقات الفقهية للتكليف عنده.
- المبحث الرابع: الخصائص العامة للتكليف عنده.
- ثم الخاتمة بالنتائج والتوصيات.

التمهيد

المطلب الأول

التعريف بالإمام ابن الفرس

أولاً: اسمه ونسبه:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الفرس الغرناطي المالكي، المعروف بـ ابن الفرس (ت ٥٩٧هـ) ^(١). وُلِدَ في الأندلس، ونشأ في أسرة علمية مهتمة بالفقه والقرآن، فشبَّ محباً للعلم، متوجهاً إلى دراسة العلوم الشرعية وعلى رأسها الفقه المالكي والتفسير ^(٢).

ثانياً: مكانته العلمية

يُعدّ ابن الفرس من كبار علماء المالكية في الأندلس، جمع بين علوم التفسير والفقه والأصول، وكان له عناية فائقة بالنص القرآني وتطبيقاته الفقهية. ويصفه العلماء بأنه من أئمة الفقهاء المفسرين الذين استثمروا النصوص القرآنية في بناء الأحكام الشرعية، ولذلك عُدَّ كتابه أحكام القرآن من الكتب المعتمدة في هذا الفن ^(٣).

ثالثاً: شيوخه وتلاميذه

(١) اشتهر أبو الحسن علي بن محمد الغرناطي بلقب ابن الفرس، وهي نسبة إلى أحد أجداده، على عادة أهل الأندلس في الانتساب إلى الألقاب الأسرية المشهورة، ولا يُراد بها معنى لغوي خاص، وإنما جرى عليه الاصطلاح العائلي، فغلب اللقب على اسمه واشتهر به في كتب التراجم. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد البيعمري (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق: تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٢، (٢٠٠٨)، (٣٢٥)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله كاتب جليبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، (١٩٤١م)، (٤٥٦/١) .

(٢) ينظر: الديباج المذهب: لابن فرحون، (٣٢٥) .

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٣، (١٩٨٥م)، (٢٣٠/١) .

أخذ ابن الفرس العلم عن شيوخ المالكية في الأندلس، وتأثر بمدرسة ابن العربي المعافري (ت ٥٤٣هـ) في الجمع بين التفسير والفقه. كما تتلمذ عليه جماعة من طلاب العلم الذين نشروا فكره ومنهجه في الأندلس والمغرب، فكان حلقة وصل بين جيل ابن العربي وجيل شراح المدونة المالكية^(١).

المطلب الثاني

مؤلفاته ومنهجه في التأليف

أولاً: مؤلفاته: خلف ابن الفرس عدة مؤلفات، لكن أشهرها وأعظمها أثرًا:

• **أحكام القرآن** : وهو الكتاب الذي بين أيدينا، وقد جمع فيه بين تفسير آيات الأحكام واستنباط دلالاتها الأصولية والفقهية. ويُعدّ من أهم كتب التفسير الفقهي عند المالكية، ومن أبرز ما كُتب في هذا الفن بعد أحكام القرآن لابن العربي^(٢).

ثانياً: ملامح شخصيته العلمية ومنهجه في التأليف

يتضح من خلال كتابه أحكام القرآن عدة سمات أساسية في منهجه العلمي^(٣):

١. **النزعة القرآنية**: جعل النص القرآني أساساً لاستنباط الأحكام وتكييف النوازل.
 ٢. **المنهج المقارن**: يعرض أقوال المذاهب الأخرى، ثم يرجّح ما يوافق أصول المالكية.
 ٣. **التحليل الأصولي**: يذكر العلة والمناط، ويُدخل الوقائع المستجدة تحت القواعد.
 ٤. **النظر المقاصدي**: يربط بين الحكم ومقصده الشرعي، وخاصة في مسائل المعاملات والعقوبات.
- هذه السمات جعلت منه مفسراً فقيهاً وأصولياً في آن واحد، وهو ما يمنح دراسته قيمة علمية كبيرة، خصوصاً في مجال **التكييف الفقهي** الذي يجمع بين النصوص والوقائع .

(١) ينظر: الديباج المذهب: لابن فرحون (٣٢٦) .

(٢) ينظر: أحكام القرآن: لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف « بابن الفرس الأندلسي » (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: طه علي وآخرون، دار ابن حزم - بيروت، ط١، (٢٠٠٦م)، (٣٧/١) .

(٣) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٥/٢) .

التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن
دراسة أصولية تطبيقية
م . د حاتم كريم مطر

المبحث الأول

الإطار النظري للتكييف الفقهي

المطلب الأول

مفهوم التكييف الفقهي

أولاً: التكييف: لغةً: التكييف مأخوذ من مادة (ك ي ف)، وهي تدل على الحال والصفة، يقال: "كيف الشيء" أي وصفه بحاله. وفي الاصطلاح العام: بيان هيئة الشيء وما هو عليه من الأوصاف^(١).

ثانياً: التكييف: اصطلاحاً: عند الفقهاء، التكييف الفقهي: "هو تصنيف النازلة، وردها إلى بابها الفقهي الصحيح، ليعرف حكمها الشرعي"^(٢)، وقد عبّر بعض العلماء عنه بقولهم: "هو إدراج الواقعة تحت حكم شرعي مناسب، بربطها بأصل أو قاعدة فقهية"^(٣).

ثالثاً: الفرق بين التكييف والتخريج والتنزيل^(٤):

- التكييف: عملية إدخال الواقعة في أصل فقهي عام.
- التخريج: استنباط حكم جديد على أساس قواعد المذهب، وإن لم يُنصّ عليه.
- التنزيل: هو تطبيق الحكم المستنبط على واقعة محددة. وبذلك يكون التكييف خطوة وسطى بين القاعدة العامة والتطبيق الجزئي .

رابعاً: أهمية التكييف الفقهي

تبرز أهمية التكييف في أنه^(٥):

(١) ينظر: لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، (١٩٩٤م)، (مادة كيف)
(٢) الفروق أو أنوار البروق في أنواع الفروق: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون طبعة، (١٩٩٨م)، (١٧٧/١) .
(٣) المدخل الفقهي العام: لمصطفى أحمد الزرقا، دار الفلم - دمشق، ط٣، (٢٠٠٤م)، (٩٣١/٢) .
(٤) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٦، (١٩٩٩م)، (٢١٤) .
(٥) ينظر: الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغزنطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: عبدالله دراز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٩٩١م)، (١٩٤/٤) .

١. وسيلة لفهم النازلة في ضوء النصوص والقواعد.
 ٢. يُحقق الربط بين الفقه والأصول.
 ٣. يُسهم في تجديد الفقه الإسلامي عبر استيعاب الوقائع المستجدة.
- وقد أشار الشاطبي إلى أن الفقهاء لا يمكنهم الإفتاء في النوازل إلا بعد ردها إلى أصول الشريعة وضوابطها^(١).

المطلب الثاني

جذور التكييف الفقهي عند المالكية

أولاً: عند الإمام مالك (ت ١٧٩هـ)

يُعدّ الإمام مالك من أوائل من مارس التكييف الفقهي عملياً، إذ كان يُدخل النوازل ضمن الأصول المقررة، مثل إدراجه بعض صور البيوع المستحدثة تحت باب بيع الغرر، مما يدل على وعي مبكر بعملية التكييف^(٢).

ثانياً: المدرسة العراقية للمالكية

في القرن الرابع الهجري، برزت مدرسة العراق المالكية، ومن أعلامها القاضي عبد الوهاب البغدادي (ت ٤٢٢هـ)، الذي كان شديد العناية بالأصول والتقعيد، فكان يكيّف المسائل على أصول المذهب، ويُبرز العلل والمقاصد^(٣).

ثالثاً: المدرسة المغربية والأندلسية

في المغرب والأندلس، تطور التكييف الفقهي مع أعلام ك ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) الذي جعل القرآن أصلاً للتكييف في كتابه أحكام القرآن، وجاء من بعده ابن الفرس (ت ٥٩٧هـ) الذي واصل هذا النهج، فجمع بين النزعة القرآنية والتحليل الأصولي والمقاصدي^(٤).

(١) ينظر: الموافقات: للشاطبي، (١٩٤/٤).

(٢) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، دارالكتب العلمية - بيروت، (١٩٨٧م)، (٣٢١/٨).

(٣) ينظر: المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»: لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (ت ٤٢٢هـ)، تحقيق: حميش عبد السلام، دار الفكر - بيروت، ط١، (١٩٩٧م)، (٤٥/١).

(٤) ينظر: أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، (٢٠٠٣م)، (٧٢/١).

التكليف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن
دراسة أصولية تطبيقية
م . د حاتم كريم مطر

رابعاً: موقع ابن الفرس في هذا السياق

يقع ابن الفرس في سلسلة التطور المالكي للتكليف، بين القاضي عبدالوهاب وابن العربي من جهة، وبين القرافي (ت ٦٨٤هـ)، وابن رشد الجد والحفيد من جهة أخرى. فهو حلقة وصل بين المدرسة القرآنية والمدرسة الأصولية المقاصدية، مما يبرز فريدة منهجه^(١).

المبحث الثاني

منهج ابن الفرس في التكليف الفقهي

المطلب الأول

مصادر التكليف عند ابن الفرس

أولاً: النص القرآني

النص القرآني هو المصدر الأساس للتكليف عند ابن الفرس، فقد بنى كتابه أحكام القرآن على الاستنباط المباشر من الآيات، وربط الأحكام الفقهية بمضامينها. وكان يرى أن كل نازلة يمكن ردها إلى أصل قرآني عام، إما بدلالة النص أو بدلالة القواعد المستنبطة منه^(٢).

ثانياً: السنة النبوية

يستند ابن الفرس إلى السنة النبوية باعتبارها مفسرة ومبينة لأحكام القرآن، فيورد الأحاديث الصحيحة لتوضيح مناهج الحكم وتأكيد التكليف. مثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣)، أورد حديث الأصناف الستة لبيان علة الربا وطرق تكليفه^(٤).

ثالثاً: أقوال الصحابة والتابعين

يُكثر ابن الفرس من نقل آثار الصحابة والتابعين، باعتبارها تطبيقات عملية للنصوص، ودليلاً على التكليف المبكر للوقائع. فهو يرى أن فهمهم للنصوص يعدّ مرجعاً في إدخال المسائل المستجدة ضمن أصول الشريعة^(٥).

(١) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٣٧/١).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٣٥/١).

(٣) ينظر: سورة البقرة: جزء من الآية (٢٧٥).

(٤) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٣٥/١).

(٥) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٤٥/٢).

رابعاً: القواعد الأصولية والفقهية

يستند ابن الفرس في تكييفه إلى جملة من القواعد الأصولية، مثل:

- قاعدة: "الأصل في المعاملات الإباحة إلا ما ورد النص بتحريمه."
- قاعدة: "ما ثبت بدليل قطعي لا يزول بالشك."

كما يوظف القواعد الفقهية المالكية، مثل: "سدّ الذرائع"، و"العادة محكمة"، مما يعكس منهجاً مركباً بين التفسير الفقهي والقواعد الأصولية^(١).

المطلب الثاني

أدوات ابن الفرس في التكييف

أولاً: العلة والمناط

يُولي ابن الفرس أهمية كبرى لاستخراج علل الأحكام وربطها بالمناط الشرعي، فالتكييف عنده لا يتم إلا بإدخال الواقعة في إطار علة عامة نص عليها الشرع. مثال ذلك: علة تحريم الربا بالكيل أو الوزن عند اتحاد الجنس، التي يوسع بها دائرة التكييف^(٢).

ثانياً: القياس: يستعمل القياس بوصفه أداة لتوسيع دائرة التكييف، فيلحق المسائل الجديدة بما نص عليه الشرع لوجود علة جامعة. وهو في ذلك يتبع منهج المالكية الذين جعلوا القياس وسيلة لإدخال النوازل ضمن الأصول المقررة^(٣).

ثالثاً: المصلحة

يظهر في كتابه اعتبار المصلحة المرسلة في عملية التكييف، خصوصاً في المعاملات، حيث يجعل تحقيق مقصود الشارع في حفظ الأموال والأعراض والنفوس جزءاً من ضوابط التكييف^(٤).

(١) ينظر: الفروق: للقرافي (١٧٧/١).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٨/٢).

(٣) ينظر: أحكام الفصول في أحكام الأصول: لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤ هـ)، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ٢، (١٩٩٥م)، (٢١٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٧٧/٣).

التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن
دراسة أصولية تطبيقية
م . د حاتم كريم مطر

رابعاً: المقاصد الشرعية

يمتاز ابن الفرس بربط الأحكام بمقاصدها الشرعية؛ فحين يكيف حكم القصاص أو الحدود، لا يقف عند ظواهر النصوص، بل يشير إلى مقصود الشريعة في الردع والزجر وحفظ النظام، مما يكشف عن بُعد مقاصدي واضح في تكييفه^(١).

المبحث الثالث

التطبيقات الفقهية للتكييف عند ابن الفرس
المطلب الأول/التكييف الفقهي في العبادات

٤ - أحكام الطهارة

عند قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٢)، كيف ابن الفرس مسألة التيمم بكونه بدلاً شرعياً عن الماء عند العجز، وأدخل صوراً متعددة للعجز تحت هذا الأصل، مثل فقدان الماء أو تعذر استعماله لمرض، وهو تكييف مبني على قاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"^(٣).

٢ - أحكام الصيام

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٤)، كيف مسألة فطر المريض والمسافر على أنها رخصة، وأدخلها تحت أصل كلي هو "المشقة تجلب التيسير"، مما يفتح الباب لتكييف صور جديدة من الأعذار الموجبة للفطر^(٥).

٣ - أحكام الحج

عند قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(١)، كيف مسألة الإحصار عن البيت بأنها مانع شرعي يبيح الفسخ بالهدي، فاعتبرها داخلة تحت قاعدة "القدرة شرط في وجوب العبادة"، مما يدل على منهجه في إدخال الأعذار المستجدة ضمن القواعد العامة^(٢).

(١) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٥/٣).

(٢) ينظر: سورة النساء: جزء من الآية (٤٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٥/١).

(٤) ينظر: سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٤).

(٥) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١٤٢/١).

المطلب الثاني

التكييف الفقهي في المعاملات

١- أحكام البيع

في قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣)، كيف ابن الفرس صور البيع الجديدة (مثل بيع المجهول أو المعدم) على أنها غرر، فأدخلها تحت قاعدة "النهي عن بيع الغرر"، مما يجعل الحكم بالبطلان مفرغاً على أصل كلي^(٤).

٢- أحكام الإجارة

في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِرَبِّهِمْ وَأُوَدِّعُ الْخَالِقِينَ﴾^(٥)، كيف ابن الفرس عقد الإجارة بأنه عقد على المنفعة بعوض، ثم ألحق به صوراً أخرى، مثل الإجارة على المنافع المؤقتة، وأدخلها ضمن أصل مشروعيتها في القرآن^(٦).

٣- أحكام الربا

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾^(٧)، كيف ابن الفرس علّة الربا في الأصناف الستة على أنها الكيل أو الوزن مع اتحاد الجنس، ثم أدخل صوراً جديدة من المعاملات ضمن هذا الأصل، مما يدل على توسع في التكييف بالعلل^(٨).

المطلب الثالث

التكييف الفقهي في الأسرة والحدود

١- أحكام النكاح

- (١) ينظر: سورة البقرة: جزء من الآية (١٩٦) .
- (٢) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٢٢١/١).
- (٣) ينظر: سورة البقرة: جزء من الآية (١٩٦) .
- (٤) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٤٥/٢).
- (٥) ينظر: سورة القصص: جزء من الآية (٢٧) .
- (٦) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١٣٣/٢).
- (٧) ينظر: سورة آل عمران: جزء من الآية (١٣٠) .
- (٨) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٨/٢).

التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن

دراسة أصولية تطبيقية

م . د حاتم كريم مطر

في قوله تعالى: ﴿فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١)، كيف ابن الفرس شرط الولي في النكاح على أنه شرط صحة، وردّ المسألة إلى أصل كلي هو "العقد يفتقر إلى الولي"، مما يميز المذهب المالكي في تكييف هذه القضية^(٢).

٢- أحكام الطلاق والعدة

في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٣) [البقرة: ٢٢٨]، كيف ابن الفرس العدة العدة بأنها عبادة مؤقتة بزمان مقصود بها براءة الرحم، فجمع بين التكييف التعبدية والمصلحية، مما يكشف عن نزعة أصولية دقيقة^(٤).

٣- أحكام القصاص والحدود

في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(٥)، كيف ابن الفرس العقوبة على أنها وسيلة للردع وحفظ النفس، وأدخلها تحت قاعدة "الجزاء من جنس العمل"، مما أبرز بُعدًا مقاصديًا واضحًا في تكييفه^(٦).

المبحث الرابع/ الخصائص العامة للتكييف عند ابن الفرس

من خلال تتبع منهج الإمام ابن الفرس في كتابه أحكام القرآن، يظهر أن تكييفه الفقهي تميز بعدد من الخصائص المنهجية، التي جعلت اجتهاده حلقة بارزة في تطور الفكر المالكي.

المطلب الأول/ النزعة القرآنية

أبرز ما يميز ابن الفرس أنه جعل النص القرآني محورًا للتكييف، فلا يورد مسألة إلا بعد ربطها بأية. وهذا يعكس نزعة قرآنية قوية جعلت كتابه أقرب إلى تفسير فقهي يقوم على إدراج الفروع الفقهية تحت الأصول القرآنية^(٧).

(١) ينظر: سورة النساء: جزء من الآية (٣) .

(٢) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٧٧/٣).

(٣) ينظر: سورة البقرة: جزء من الآية (٢٢٨) .

(٤) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٢/٣).

(٥) ينظر: سورة البقرة: جزء من الآية (١٧٩) .

(٦) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٥/٣).

(٧) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (٣٧/١) .

المطلب الثاني/العناية بالعلل والأوصاف

كان ابن الفرس شديد الاهتمام باستخراج العلة وربطها بالمناط الشرعي، فيجعل التكييف قائماً على قاعدة أصولية، كقوله بتحريم بيع المجهول لكونه غرراً، وتحريم الربا لاتحاد الجنس مع الوزن أو الكيل. وبهذا كان منهجه تحليلياً يقوم على العلل لا مجرد الظواهر^(١).

المطلب الثالث/ المنهج المقارن

لم يقتصر ابن الفرس على نقل أقوال المالكية، بل عرض أقوال بقية المذاهب، ثم يكيّف المسألة وفق أصول مذهبه. وهذه سمة واضحة جعلت تكييفه أوسع أفقاً، وأكثر استيعاباً للخلاف الفقهي^(٢).

المطلب الرابع/ النظر المقاصدي

ربط ابن الفرس الأحكام بمقاصدها، كما في تكييفه للقصاص بأنه وسيلة لحفظ النفس، وتكييفه للعدة بأنها عبادة مقصودة لبراءة الرحم. وهذا يبين إدراكه لمقاصد الشريعة وحرصه على تنزيلها في عملية التكييف^(٣).

التكييف^(٣)

المطلب الخامس/ التوازن بين الأصول والفروع

امتاز تكييفه بالتوازن؛ إذ لم يغلب الجانب الأصولي المجرد على الفروع، ولم يقتصر على النقل الفقهي، بل جمع بين النص القرآني، والأصول الكلية، والعلل الشرعية، والمقاصد العامة في بناء منظومته^(٤).

الخاتمة

بعد هذه الدراسة، يمكن تلخيص أبرز النتائج فيما يلي:

١. التكييف الفقهي عند ابن الفرس هو عملية واعية لإدخال النوازل ضمن الأصول القرآنية والقواعد الكلية، وهو بهذا يمثل صورة عملية للجمع بين الفقه والأصول.

(١) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٨/٢).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١٣٣/٣).

(٣) ينظر: أحكام القرآن: لابن الفرس (١١٥/٣).

(٤) ينظر: الفروق: للقرافي (١٧٧/١).

التكييف الفقهي عند ابن الفرس المالكي (ت ٥٩٧هـ) من خلال كتابه أحكام القرآن

دراسة أصولية تطبيقية

م . د حاتم كريم مطر

٢. امتاز تكييفه بالنزعة القرآنية، حيث جعل النص محورًا لكل حكم، وهو ما يميزه عن كثير من الفقهاء الذين يغلب عليهم النقل الفقهي المجرد.

٣. أظهر ابن الفرس عناية بالعلل والمقاصد، مما جعل تكييفه متمسكًا بالتحليل الأصولي والنظر المقاصدي معًا.

٤. اعتمد المنهج المقارن في عرض المذاهب، لكنه كان يربح ما يوافق أصول المالكية، مما يعكس انفتاحًا على الخلاف الفقهي مع التزام بالمدرسة المالكية.

٥. أسهم منهجه في التكييف في تطوير الفكر المالكي، وجعله أكثر قدرة على استيعاب النوازل، مما يفتح المجال للاستفادة من تجربته في معالجة القضايا المعاصرة.

التوصيات

١. العناية بدراسة كتب التفسير الفقهي المالكي، وعلى رأسها أحكام القرآن لابن الفرس، لكونها مجالًا خصبًا لفهم التكييف الفقهي.

٢. الاستفادة من منهج ابن الفرس في الربط بين النص والمقاصد عند دراسة النوازل المعاصرة.

٣. الحاجة إلى دراسات مقارنة بين ابن الفرس وغيره من أعلام التفسير الفقهي (مثل ابن العربي والقرطبي) للكشف عن تطور مفهوم التكييف الفقهي.

٤. توجيه الباحثين إلى استخراج القواعد الكلية التي اعتمدها ابن الفرس، وإبراز دورها في بناء المنظومة الفقهية المالكية.

المصادر والمراجع

١- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمرى (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق: تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٢، (٢٠٠٨).

٢- سير أعلام النبلاء: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٣، (١٩٨٥م).

٣- أحكام القرآن: لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: طه علي وآخرون، دار ابن حزم - بيروت، ط١، (٢٠٠٦م).

- ٤- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله كاتب جليبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، (١٩٤١ م).
- ٥- لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، ط٣، (١٩٩٤ م).
- ٦- المدخل الفقهي العام: لمصطفى احمد الزرقا، دار الفلم - دمشق، ط٣، (٢٠٠٤ م).
- ٧- الفروق: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤ هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون طبعة، (١٩٩٨ م).
- ٨- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: لعبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٦، (١٩٩٩ م).
- ٩- الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق: عبدالله دراز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٩٩١ م).
- ١٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٩٨٧ م).
- ١١- المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»: لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (ت ٤٢٢ هـ)، تحقيق: حميش عبد السلام، دار الفكر - بيروت، ط١، (١٩٩٧ م).
- ١٢- أحكام القرآن: للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت ٥٤٣ هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، (٢٠٠٣ م).
- ١٣- إحكام الفصول في أحكام الأصول: لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤ هـ)، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط٢، (١٩٩٥ م).

Sources and references

- ١- Al-Dibaj al-Muzahhab fi Ma'rifat A'yan Ulama al-Muzahhab: by Ibn Farhun Burhan al-Din Ibrahim bin Ali bin Muhammad al-Ya'mari (d. ٧٩٩ AH), edited by Bashar Awwad Ma'ruf, Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, ٢nd edition, (٢٠٠٨).

-
-
- ٢- Siyar A'lam al-Nubala: by Abu Abdullah Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz al-Dhahabi (d. ٧٤٨ AH), edited by a group of editors under the supervision of Sheikh Shu'ayb al-Arna'ut, Al-Risala Foundation – Beirut, ٣rd edition, (١٩٨٥ AD).
- ٣- Ahkam al-Qur'an: by Abu Muhammad Abd al-Munaim ibn Abd al-Rahim, known as Ibn al-Faris al-Andalusi (d. ٥٩٧ AH), edited by Taha Ali et al., Dar Ibn Hazm – Beirut, ١st edition, (٢٠٠٦).
- ٤- Kashf al-Zunoon 'an Asami al-Kutub wa al-Funun: by Mustafa bin Abdullah Katib Jalabi al-Qustantini, known as Haji Khalifa or al-Hajj Khalifa (d. ١٠٦٧ AH), Dar Ihya al-Turath al-Arabi – Beirut, ١st edition, (١٩٤١).
- ٥- Lisan al-Arab: by Muhammad ibn Makram ibn Ali Abu al-Fadl, Jamal al-Din ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Afriqi (d. ٧١١ AH), Dar Sadir – Beirut, ٣rd edition, (١٩٩٤).
- ٦- Al-Madkhal al-Fiqhi al-Aam: by Mustafa Ahmad al-Zarqa, Dar al-Falam – Damascus, ٣rd edition, (٢٠٠٤).
- ٧- Differences: by Abu al-Abbas Shihab al-Din Ahmad ibn Idris ibn Abd al-Rahman al-Maliki, known as al-Qarafi (d. ٦٨٤ AH), edited by Khalil al-Mansur, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah – Beirut, no edition, (١٩٩٨ AD).
- ٨- Introduction to the Study of Islamic Law: by Abd al-Karim Zidan, Al-Risala Foundation – Beirut, ٦th edition, (١٩٩٩).
- ٩- Al-Muwafaqat: by Ibrahim ibn Musa ibn Muhammad al-Lakhmi al-Gharnati, known as al-Shatibi (d. ٧٩٠ AH), edited by Abdullah Daraz, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah – Beirut, ١st edition, (١٩٩١ AD) .
- ١٠- Al-Tamhid fi Ma fi al-Muwatta min al-Ma'ani wa al-Asanid (Introduction to the Meanings and Chains of Transmission in al-Muwatta): by Abu 'Umar Yusuf ibn 'Abdullah ibn Muhammad ibn 'Abd al-Barr ibn 'Asim al-Namiri al-Qurtubi (d. ٤٦٣ AH), edited by Mustafa ibn Ahmad al-'Alawi and Muhammad 'Abd al-Kabir al-Bakri, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah – Beirut, (١٩٨٧).

١١- Assistance on the Doctrine of the Scholar of Madinah, Imam Malik ibn Anas: by Abu Muhammad Abd al-Wahhab ibn Ali ibn Nasr al-Baghdadi al-Maliki (d. ٤٢٢ AH), edited by Hamish Abd al-Salam, Dar al-Fikr – Beirut, ١st edition, (١٩٩٧).

١٢- Ahkam al-Qur'an (The Rulings of the Qur'an) by Judge Muhammad ibn Abdullah Abu Bakr ibn al-Arabi al-Ma'afiri al-Ishbili al-Maliki (d. ٥٤٣ AH), referenced by Muhammad Abdul Qadir Ata, Dar al-Kutub al-Ilmiyah – Beirut, ٣rd edition, (٢٠٠٣).

١٣- Ihkam al-Fusul fi Ahkam al-Usul: by Abu al-Walid Sulayman ibn Khalaf ibn Sa'd ibn Ayyub ibn Warith al-Baji al-Andalusi (d. ٤٧٤ AH), edited by Abdul-Majid Turki, Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, ٢nd edition, ١٩٩٥.